

الإجابة النموذجية
الشعر الأموي – الفرقة الثانية
د/ عبد المنعم أبو زيد

أ- النقائض :

النقائض جمع نقيضه ، وهي في معجمات اللغة، مأخوذة من النقض في البناء ، وهو الهدم ، وفي الحبل ، بمعنى حلة ، وفي العهد ، بمعنى عدم إبرامه ، وقيل النقض : ضد الإبرام ، ويكون في البناء والحبل والعهد ، قالوا : والمناقضة في القول : أن يتكلم بما يتناقض معناه ، أي يتخالف ، ونناقضه في الشيء مناقضة ونقاضا:خالفه (١)

والنقيضة في باب الشعر : بمعناها الذي استقرت عليه ، وانتهت إليه ، تعني أن يقول شاعر قصيدة يهجو فيها شاعرا آخر ، طاعنا فيه وفي قومه ، ويفخر فيها بنفسه وبقومه ، فيجيبه الشاعر الآخر بقصيدة ، ناقضا ما جاء به الأول – أو كثيرا مما جاء به - من معان وصور ، مضيفا إليها من جانبه مزيدا من الفخر والهجاء ، كل ذلك بقصد أن يفسد على الأول معانيه ، فيردها عليه ، إن كانت هجاء ، ويزيد عليها مما يعرفه أو يخترعه ، وإن كانت فخراً كذبه فيها ، أو فسرهما لصالحه هو ، أو وضع إزاءها مفاخرا لنفسه وقومه . (٢)

وقد يتجاوز الشاعر الآخر الرد على أقوال الأول معني معني ،إلي الهجاء العام، والفخر العام ، فيقوم النقض حينئذ على أساس المقابلة بين هجاء ، وفخر . وفي كل حال لا تكتسب قصيدة الشاعر الآخر اسم النقيضة إلا إذا التزم في رده بالموضع الذي عالجه الشاعر الأول، وبالوزن الذي اختاره ، وبالقفية التي بني عليها قصيدته ، وحينئذ تسمى قصيدته نقيضة بمعني ،ناقضة ، وتسمى قصيدة الأول نقيضة ، بمعني منقوضة ،أي أن الأولي- في ترتيب القول- فعيلة بمعني مفعولة ، والأخري فعيلة ، فمعني فاعلة . (٣)

وهنا نلاحظ اختلاف الموقف الإبداعي بين الشاعرين ، من حيث حرية اختيار الموضوع والوزن والقافية والمعاني ، والاحتشاد الانفعالي ، إذ يتوفر هذا كله للشاعر الأول، بينما يجد الشاعر الآخر نفسه مضطرا إلي تقييد مواهبه بحدود الموضوع الذي فرض عليه ،وقدراته الفنية واللغوية ، وبحدود الوزن والقافية ، اللذين عليه الالتزام بهما، ولهذا كثيرا ما نجد الأول أطول نفسا ، وأجود معني وأقوى أسلوبا ،؟ بحكم ما حظى به من حرية الاختيار ،وما أكره عليه الآخر من قيود ، جعلته أمام أمر واقع ، عليه أن يخوضه مكرها أو محرجا، ومن ثم يقصر عن صاحبه. (٤)

è î ïë# fl k

èfl

è è ì é ñ ì î

èfl

è î è

èfl

è î ñ

èfl

فدخلت بذلك مجال المنافسة بين الشعارين ، كتتمة للتنسيق الوزني ، وجزء من النظام الموسيقي العام للمناقضة .^(١)

بداية النقائض وتطورها

والنقائض في صورتها البسيطة ليست جديدة على الشعر العربي ، لأننا نري في شعر العصر الجاهلي نماذج مصغرة لها ، تتمثل فيما كان ينشده بعض الشعراء ردا على خصومهم ، وخاصة حين كان القتال يستعر بين القبائل ، فيكون الصراع الكلامي مواكبا للصراع القتالي ولسانا له . وطورا كان هذا الصراع الكلامي ينفلت من قيود الالتزام بأن تكون القصيدة الناقضة من نفس وزن وروي القصيدة المنقوضة ، قانعا المعاني والصور الشعرية ، كما في معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة ، وطورا آخر كان الشاعر المجيب يضيف إلي نفس هذه المعاني والصور نقض الإيقاعات التي صاغ عليه الشاعر البادئ قصيدته . إليك ما يقوله قيس بن الخطيم الأوسي في تلك المعارك الحامية التي دارت بين الأوس والخزرج قبل أن يؤلف الإسلام بين قلوبهم :

دعوت بني عوف لحقن دمائهم فلما أبوا سامحت في حرب حاطب
وكنت أمراً لا أبعث الحرب ظالما فلما أبوا أشملتها كل جانب

ومعني ذلك أن الصورة الأولى للنقائض تمتد بجذورها إلي شعر العصر الجاهلي ، وإن كانت هذه الصورة - كما قدمنا - بسيطة عفوية ، شأن جمهرة الشعر الجاهلي ، كما كانت تفتقرن باحتدام الصراع القتالي وتواكبه ، حتي إذا ركدت ريحه ركدت هذه النقائض بركودها ، ومن ثم لم تكن في الأعم الأغلب تحمل خاصية الديمومة والاستمرار .^(٢)

ومن ثم نستطيع أن نقف على الملامح الفنية لمرحلة نشأة النقائض الشعرية وتطورها في العصر الجاهلي.

١- قامت أولا على نقض المعاني ، دون وحدة الوزن والقافية ، ثم تطورت فقامت على الاتحاد الموضوعي والمعنوي والموسيقي ، فتمت بذلك قواعدها المعروفة .

٢- أهم فنونها الفخر والهجاء ، ومادتها تدور حول مقومات الحياة الجاهلية ، كالأيام ، والأنساب ، والأحساب ، والاعتراف بالظلم والعدوان ، والفضائل الاجتماعية ، التي أقرتها هذه الحياة ، كالفخر بالكرم ، والشجاعة ، والنجدة ، وكثرة العدد ، والسيادة ، والمروءة ، والهجاء بصد ذلك ، كل ذلك في إطار العصبية القبلية ، وفي سبيل القبيلة ؛ ولذا لم تختلف فنيا عن غيرها من الشعر القبلي ، إلا من حيث أخذها بالأصول المقررة لفن المناقضات .

٣- بعدها عن الإسفاف والفحش ، وتناول الأعراض في الهجاء ، فهي تقف غالبا ، عند صفات الجبن ، والبخل ، والفرار ، وتعف عن ذكر العورات ، والكلمات النابية المكشوفة .

٤- لم يشغل الجاهليون كثيرا بهذا اللون من الشكل الشعري ، ولم يلتزموه في منازعاتهم الشعرية القبلية ، بل كانوا يقبلون عليه من حين إلى آخر ، وفي الفترة بعد الفترة ، فلم يكن التباعد بين القبائل والشعراء ليتيح الفرصة لانتظام هذا الفن بين شعرائهم (١) .

وفي مطلع الإسلام يتقدم بنا فن النقض خطوة أخرى عما كان عليه في العصر الجاهلي ، وصحيح أن طابع التلقائية والبساطة ما زال يوجد هنا كما وجد من قبل ، ولكن الجديد في تلك الملاحظة الشعرية التي دارت بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين في عهد الرسول ﷺ أنها كانت تتم لا في ظل الإحساس بواجب القبيلة فحسب ، بل في ضوء الشعور الديني وفي وهجه ، ثم وفرة نماذجها واستمرارها النسبي باستمرار الغزوات والمعارك التي دارت بين الفريقين ، وهي معارك لم تفتقر ولم تنقطع حتى استتب أمر الإسلام (٢) .

ثم إن هذه الصورة من النقائض في مطلع الإسلام تختلف عن سابقتها الجاهلية في نوع الأفكار ونسيج المعاني الذي تشف عنه ، خاصة في شعر المسلمين ، ففي شعر هؤلاء يحمل الاعتزاز بالله ورسوله محل الاعتزاز التقليدي بالعرق والعشيرة ، ويحل التنديد بالضلالة والبغي محل الطعن الصريح في الأنساب والأحساب ، إليك ما يقوله ضرار بن الخطاب في يوم بدر :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر

فيرد عليه من المسلمين كعب بن مالك :

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ، ليس لله قاهر

قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا بغوا ، وسبيل البغي بالناس جائز

شهدنا بأن الله لا رب غيره وأن رسول الله بالحق ظاهر (٣)

وعلى الرغم من أن النقائض أيام الرسول تعد امتدادا للنقائض الجاهلية (٤) ، فإن تغيرا غير يسير قد أصابها في عهد النبوة ، على السنة شعراء المسلمين ، بخاصة من حيث الغاية والأسلوب ، وبعض المعاني والألفاظ أيضا .

ثم يأتي العصر الأموي ، فيصيب فن النقائض الشعرية حظا وافرا من التطور والازدهار والذيع ، يصل به إلى قمة النضج ، فقد وفرت له ظروف العصر السياسية والاجتماعية بيئة مهيأة لتقبله ، والإقبال عليه ، والإكثار منه - والفنون ، بعامه ، إنما تجود وتنضج وتزدهر إذا وفرت لها البيئة دواعيها ، واقتضت ظروفها وتقبلتها أذواقها ، وقد تهيأ هذا كل لفن النقائض الشعرية في العصر الأموي .

١- العجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر
فيرد عليه من المسلمين كعب بن مالك :
عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ، ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا بغوا ، وسبيل البغي بالناس جائز
شهدنا بأن الله لا رب غيره وأن رسول الله بالحق ظاهر (٣)

٢- العجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر

وكان للنجاح الذي أحرزه كل من جرير والفرزدق والأخطل ، والشهرة التي نالوها ، بفضل فنهم في النقائض ، وتطلع جماهير العصر إلى المزيد من هذا الفن ، كان له أثره في محاكاة غيرهم من الشعراء لأسلوبهم الشعري القائم على المناقضة ، ففشا الصراع الأدبي ، أو المناقضة الفنية ، بين الشعراء ، على نحو لم يكن مألوفاً من قبل .

ويتركز اهتمامنا على ذلك النوع من النقائض ، الذي يلتفت الشاعر فيه – أولاً وقبل كل اعتبار آخر – إلى نفسه ، ويهتم بفنه ، وفن منافسه من الشعراء ، وقد يأتي فيه ذكر القبيلة ، بمثابة تأكيد لفخر الشاعر بنفسه ، أو للإمعان في الحط من قدر منافسه ؛ لأن هذا هو الفن الذي اشتهر في العصر الأموي ، وتعاوره كثير من شعرائه ، وكانت قمة اكتماله ونضجه على يد فحول هذا العصر . وفي مقدمتهم الثلاثة الفحول : جرير والفرزدق والأخطل.

وفي العصر الأموي – أيضاً- تحولت النقائض من غاية الهجاء الخالص إلى غاية جدية هي سر حاجة الجماعة الحديثة في البصرة إلى ضرب من ضروب الملاهي^(١)

وتدخلت في صنع النقائض بجانب هذه العوامل الاجتماعية عوامل عقلية مردها إلى نمو العقل العربي ومرانه الواسع على الحوار والجدل والمناظرة في النحل السياسية والعقيدية وفي الفقه وشئون التشريع . وعلى ضوء من ذلك كله أخذ شعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها ، وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثقها وفي أدلة خصمه لينقضها دليلاً دليلاً ، وكأننا أصبحنا بإزاء مناظرات شعرية ، وهي مناظرات كانت تتخذ سوق المربد مسرحاً لها ، فالشعراء يذهبون هناك ، ويذهب إليهم الناس ويتحلقون من حولهم ، ليروا من تكون له الغلبة على زميلة أو زملائه.^(٢)

إضافة إلى كونها خاضت في مديح الخلفاء والولاة بحيث أصبحت لا تحتوى فخراً وهجاء فحسب ، بل تحتوي كذلك مديحاً كما تحتوي نسيباً وغزلاً ، والشاعر في كل هذه الموضوعات يستلهم الإسلام في معانيه ، كما يستلهم قدرة العربي الجديدة على الجدل ونقض الدليل بالدليل وقدرته – أيضاً- على التوليد في المعاني ، وبذلك كله أصبحت النقيضة عن الفرزدق وجرير عملاً فنياً معقداً^(٣)

والحق أن النقائض لم تكن تخلو في مبدأها ومسارها من عاملين جوهريين يحركا قرائح الشعراء ويدفعانهم إلى القول : عامل قبلي ، وعامل فني . فأما أولهما فقد كان الأساس الذي نهضت عليه النقائض في العصر الأموي ومن قبله في العصر الجاهلي فالشاعر في النقائض لا يتحدث عن نفسه قدر ما يتحدث عن القبيلة التي ينتمي إليها نسباً أو ولاءً ، وهو لا يعيب خصمه بنقائضه الذاتية قدر ما يطعنه في أبائه وأجداده ، ولا يركز على علاقاته الخاصة بخصمه قدر ما يركز على علاقات قبيلته بقبيلة خصمه وما كان يدور بين القبيلتين من صراع ، وما أسفر عنه

١- أ. س. ع. ، ص ١٠٠

٢- أ. س. ع. ، ص ١٠٠

٣- أ. س. ع. ، ص ١٠٠

وأبرز فرسان النقائض في هذا العصر ذلك الثالث الذي ذاعت شهرته ليس في فن الهجاء فقط ، بل في الشعر الأموي بعامته ، ونعني به الثالث المكون من جرير والفرزدق والأخطل ، وأولهم كان قاسما مشتركا في معظم نقائض هذه الفترة ، فقد تهاجى مع الفرزدق من ناحية ، كما تهاجى مع الأخطل من ناحية أخرى ، ولكن نقائضه مع الأول أكثر ، وتاريخها أطول ، إذا امتدت مع الزمن نحو من أربعين عاما ، على حين شغلت نقائضه مع الأخطل نحو عشرين سنة ، ولعل في هذا التاريخ الطويل الذي استغرقت نقائض جرير والفرزدق ، وتلك الوفرة من النماذج التي رويت عن كليهما في هذا المضمار ، ما يقتضي منا أن نقف وقفة خاصة عند هذين الشاعرين وانتماءاتهما القبلية والسياسية^(١)

ب- جرير :

نسبه وأسرته :

ولد جرير بقرية أثيفية إحدى قرى الوشم من أرض اليمامة حوالي سنة ٣٠ للهجرة من أبوين ينتسبان إلى قبيلة كليب ، إحدى قبائل يربوع فأبوه عطية ، وجده حذيفة الملقب بالخطفي ، كان من القدماء العلماء بالنسب وأخبار العرب اشترك في يوم إراب ، وكان يقول الشعر ، واشتهر بالبخل ، وعتب عليه حفيده جرير في يائيته المشهورة . أما عطية أبو جرير : فقد عرف بقصر القامة وضعف الفؤاد واعوجاج القدمين . وكان يرمي بالشح^(٢) .

وجرير وإن لم يكن نشأ في بيت مجد فقد نشأ في بيت شعر وظل الشعر يتوارث في أبنائه ، وأشعرهم بلال . وحفيده عمارة من الشعراء المشهورين في العصر العباسي ، وعنه أخذ الرواة شعر جدّه وأكثر أخباره . ويقول ابن قتيبة كان لجرير عشرة من الولد فيهم ثمانية ذكور .

ويظهر أن موهبة جرير الشعرية تفتحت مبكرة وقد وجد في جده الخطفي خير من يلقنه الشعر ، ويقال إن من أوائل ما نظمه مما رواه له الرواة أبياتا عاتبه بها ، وذلك أنه كان ذا مال كثير ، وكان ينحل أبناءه وأحفاده من ماله ، فاستنحل جرير ، فأعطاه بعض ماله ثم رجع فيه ، وقيل بل أعطاه قليلا فاستزاده فلم يزد ، فتسخطه ، ونظم فيه طائفة من الأبيات يعاتبه بها ، وقد وصلها بعد ذلك بسنوات بأبيات نظمها في الفرزدق وغسان السليطي . وفيها يقول معاتبا جده :

وإني لمغرور أعلل بالمنى ليالي أرجو أن مالك ماليا

وإني لعف الفقر مشترك الغنى سريع- إذا لم أرض داري- انتقاليا

ويقال إنه وفد بعد ذلك إلى يزيد بن معاوية وهو خليفة ، فأنشده هذه الأبيات ، فقال له : كذبت إنها لجرير ، فقال له : أنا جرير . ومن قوله فيها :

١

٢

وليست لسيفي في العظام بقية وللسيف أشوى وقعة من لسانيا^(١)
آثاره :

لجرير ديوان مطبوع ، قام بطبعه محمد إسماعيل عبد الله الصاوي وهو في
مجلد واحد : لا يتجاوز ال ٦٠٦ صفحات إن استثنينا المقدمة والصفحة الأخيرة
التي كتب فيها : وهذا آخر ما أردنا جمعه مما صحت نسبته لنادرة الشعراء ،
وباقعة عصره في الهجاء ، جرير بن عطية بن الخطفي . والذي يقلب صفحات
الديوان يلاحظ أن الشاعر قد نظم في كل من :
(١) المديح (٢) الفخر (٣) النسب والوصف (٤) العتاب والشكوى (٥) المراثي (٦)
الهجاء .

ولقد بلغت قصائده ومقطوعاته التي قالها في المديح ٧٣ ، وكان مجموع ما قال
في النسيب والوصف ٩ ، ومجموع ما قاله في العتاب والشكوى ١٤ ، وفي المراثي
٢٢ ، وفي الهجاء ٢٢٣ ، وفي الفخر ١٣ ، فيكون مجموع ما ضمنه ديوانه هو
٣٥٤ ، قصيدة ومقطوعة .

فن المدح عند جرير

مدح جرير أهله وقبيلته ، والخلفاء والأمراء والولاة ، إما تقربا ، وإما تكسبا
لتغيير أوضاعه الاجتماعية نحو الأفضل . فبداية مدح أهله وقبيلته كليب حيث
ينسب إليها ، ومن ثم فهم رهطة الأقربون وموضع عزه وفخره ، كانت منازل
هؤلاء بالبادية ، بقرية حجر من قرى اليمامة ، بالجنوب الشرقي من نجد ، التي
تعرف الآن بالرياض . وقد أطنب جرير في مدح بني كليب ، كما أشاد بالمثل ببني
رباح بن يربوع ، وبيربوع ، وبتميم بن مر ، وبقيس عيلان ؛ فكان مما قاله عن
هؤلاء :

ألم تسمع بخيل بني رباح	إذا ركبت وخيل بني الحباب
وإن ليربوع من العز باذخا	بعيد السواقي خندقي المحارم
تحوط تميم من يحوط حماهم	ويحمي تميما من له ذاك يعرف
ألا إنما قيس نجوم مضيئة	يشق دجا الظلماء بالليل نورها
تعد لقيس من قديم فعالهم	بيوت أواسيها طوال دسورها
فوارس قيس يمنعون حماهم	وفيهم جبال العز صعب وعورها ^(٢)

ومن الذين أفاض في مدحهم الحجاج بن يوسف الثقفي وكان اتصاله به فاتحة
خير وزيادة شهرة ورفعة لجرير كما كان فاتحة قوة ، ونصر ، ودعاية للحجاج ، إذ
أقبل جرير على الحجاج إقبالا كاملا ، ينشده القصائد المختلفة في مدحه ، والإشادة
بذكوره ، والرفع من قدره ، وتفسير سائر أعماله ، وسيرته ، بروح المحب له ،
المتفاني في وده .. فهو - عنده - الأمير العظيم ، ذو العقاب المر ، والعقد الوثيق :
ومن يأمن الحجاج أما عقابه فمر وأما عقده فوثيق^(٣)

ومدح أيضا عبد الملك بن مروان الذي أدرك قوته ومدى غضب الخليفة عليه من أبيات قالها في مدح الحجاج ،
من مثل:

١- العبد المذنب

٢- العبد المذنب

٣- العبد المذنب

بما كان يقوله شعراء المذاهب والفرق في الانتصار لأنتمهم ، والاحتجاج لمذاهبهم . تأمل كيف يصير الوليد بن عبد الملك على قلمه خليفة لرب العالمين ، عارفاً بالحق ، منصوراً بالهداية والتقوى :

أنتنالك البشرى فقرت عيوننا ودارت على أهل النفاق المخاوف
فأنت لرب العالمين خليفة ولي لعهد الله ، بالحق عارف
عداك الذي يهدي الخلائف للتقى وأعطيت نصراً لم تتله الخلائف

وجريز بهذا ليس مداحاً فحسب ؛ بل هو مدافع عن الأمويين وحكمهم ينافح عن حقهم في الخلافة ؛ ويهاجم خصومهم مهاجمة عنيفة ، فهو من هذه الزاوية شاعر سياسي واضح النهج والأداة ، شاعر سياسي لأنه في تجسيده نموذج الحاكم الأموي المسلم لم يكن ينطق من اقتناع ذاتي خالص ، كذلك الذي كان ينطلق منه ابن قيس الرقيات في دعوته للزبيريين ، أو ذلك الذي كان ينطلق منه الكمييت في تشييعه للهاشميين ، بل كان في كل حالاته صاحب قلم رأي الريح تهب أموية فسار معها ، وكان صاحب مصلحة رأي الأمويين حريصين على أن يشاد بفضلهم في مواجهة خصومهم السياسيين ، ورأي حجم أعطياتهم يقاس بحجم تبرير الشعراء في هذا الجانب ، فلم يجد مانعاً أن يمضى فيه سواء ، وأن يغلو في هذا الجانب بقدر ما شاء له مزاجه الرخي الضارع .^(١)

فن الهجاء :

يري د . شوقي ضيف أن جريزاً قد بدأ هجاءه بأبيات منها هذا البيت وليست لسيفي في العظام بقية وللسيف أشوى وقعة من لسانيا وهو استهلال لحياته الأدبية ، يدل على أنه مقتحم بها فن الهجاء وقد ظل يجول ويصول في هذا الفن منذ خلافة يزيد إلي وفاته ١١٤ هـ إذ توفي بعد الفرزدق بنحو ستة أشهر^(٢)

أ- منهج جريز في هجائه

وعموماً فإن طريقة جريز في الهجاء ، جمعت إلي أساليب خصومه ، أسلوبه الخاص القائم على شدة اللذع ، واللائام ، وتتبع حياة المهجو ، وحياته ذويه ، وتعداد نقائمه ، والكشف عن عوراته واحدة فواحدة ، ذاكراً تفاصيلها ، مبيناً كل ما من شأنه أن يحمل المهجو موضع احتقار الناس . وكان يكثر من تعداد النقائص الشخصية ، والقومية الماضية ، والحاضرة ، ويختلق الحوادث والقصص ، ويكثر من التكرار ، ليثبت ما يقول في الأذهان ، ويبالغ في الزراية والتحقير ، والتشبيه بالحقير القذر من الحيوانات ؛ زائداً في القبائح ما تفيض به قريحته ، ممزقاً أعراض الأمهات والأخوات أشنع تمزيق ، مما يلذع أشد اللذع ، وهو يزيد على ذلك كله بالتهكم والسخرية ، فيجعل المهجو من المضحكات ، ويصوره تصويراً (كاريكاتورياً) يبعث على الضحك ، وهذا مما يزيد كلامه لذعاً وإيلاماً ، ويجذب الناس إليه ويصرف المتفرجين عن خصمه ، ويخفف من يهاجمونه ، ويجعلهم يتصورون ، ويمتقعونهم .

é è ï éñ

"è ï Õ éñ